

تبين من استقراء أوضاع الأقليات الإسلامية وأكثرياتها المحكمة بإرهاب القوة أو ديكاتورية العسكر أو الحزب الواحد أو بظلالة الديمقراطية الواهمة وبرق الحرية الممزق . أن سياسة واحدة تقاد يستهان بها عدياً وإن كانت تحول إلى أقلية تبعاً لسكان هذه الدولة أو تلك كمسلمي الهند (مائة مليون) أو مسلمي الصين (٧٠ مليون) أو مسلمي الإتحاد السوفيaticي حوالي (٥٠ مليون) أو مسلمي بلغاريا (١٥ مليون) أو سلمي الحبشة ٢٥ مليون أو مسلمي أوغندا حوالي (٦ ملايين) أو مسلمي لبنان (مليون وسبعين ألف) أو مسلمي فطامي في تايلاند (٤ مليون) أو مسلمي الفلبين في الجنوب (٥ مليون) ولكن تتفاوت هذه السياسة بين الشدة واللين تبعاً للظروف المختلفة التي يمر بها البلد ومدى علاقته بالدول الإسلامية والعربية سلباً أو إيجاباً ومدى تسرب أخباره إلى الخارج وجود أو عدم وجود موافقة ولو ضئيلية من الدول الكبرى والمنظمات الدولية. في بينما تثير الولايات المتحدة - تساندها أوروبا أو العالم الحر أو الأمم المتحدة - حمة إعلامية من أجل شخص في الإتحاد السوفيaticي (السابق) بحجة خرق حقوق الإنسان تسكنت عن جرائم كبرى ترتكب بحق شعوب المسلمين المختلفة في الأقطار السوفيaticية أو الأخرى التي ذكرناها. ونجد أنها مثلاً تعين سلطات الفلبين على حصار المسلمين في مورو كما نجدها أيضاً تساعد سلطات تايلاند لإخماد الثورة الفطامية. وتisksكت عن اضطهاد هيلا سيلاسي لمسلمي الحبشة بل تمنحه مع المجموعة الدولية السلطان على أرتيريا، في حين ترى التشويش الإعلامي يبلغ مداه على أوغندا المسلمة فتشنُ الدول الكبرى حرياً ضروساً ضد الحكم لاستبداله بحكم نصرياني. وتتساعد إسرائيل في مد سلطانها على الأرض المحتلة بعد تشريد شعب بكماله!! ومن العودة إلى مفهوم هذه السياسة ضد المسلمين نجدها ترتكز على ١- الحد من الحرية الدينية والشخصية والاجتماعية : سواء أغلقت المساجد أو فتحت المعاهد الدينية أو منعت أو أجبرت بعض التقاليد والأداب الإسلامية. فإن ستار القوانين والأنظمة التي يمكن أن تصدرها السلطات الحاكمة في غياب الإدارة الإسلامية أو ضمن سياسة إبعاد أو ابعاد مماثلي المسلمين بعيداً عن الحكم أو في تطويق أمثال هؤلاء صالح السلطات الحاكمة، فإن ستار القوانين كفيل بتحقيق المزيد من تدمير المواقف الأساسية للمسلم أو جره - ترهيباً أو ترغيباً - إلى الابتعاد عن الجوهر الديني. وبهذا الستار القانوني تلوذ السلطات الرسمية وتحتها تخبيء وتعمي مخططاتها في التزويب وتضييع القيمة الوجوية للمسلم وتغييب المعاني الصحيحة للحرية الدينية والاجتماعية. وفي بعض الأحيان لا تظهر النتائج العميقية لتلك القوانين إلا بعد فترة وعلى امتداد فترات أخرى من الزمن . ففي لبنان مثلاً حيث توجد المحاكم الشرعية ويُعرف دستورياً بالأحوال الشخصية للطائف، تصدر القوانين لتسلب المسلمين بعضًا من هذه الحقوق فمثلاً الحكم الذي تصدره المحاكم الشرعية في قضايا النسب لا ينفذ في دوائر النفوس والإحصاء إلا بعد أن يصدر قاضي الأحوال الشخصية المدني حكماً آخر بالتسجيل. كما أن قوانين العمل والموظفين تسلبُ بطريقة واضحة حق المسلمين في الإرث على الطريقة الإسلامية فتوزع تعويضات الموظف بعد الوفاة أو رواتبه التقاعدية وفق نسب مختلفة كلياً عن الإرث الإسلامي. وصحيح أن التعليم الديني مباح إلا أن لواحة وزارة التربية وأنظمتها بحصرها له في ساعة أسبوعية وإسقاطها من الامتحانات وعدم تكفل الوزارة بأمور المعلمين جعل من هذا التعليم هامشياً لا تأثير له. كما أن تأدية الصلاة وإن كانت مباحة والشعائر الدينية محمية قانوناً إلا أن أنظمة الوزارة تجيز العمل يوم الجمعة وإعطاء الدروس حتى في وقت الصلاة وتعمد بعض الإدارات الجامعية والثانوية وضع أهم المواد العلمية يوم الجمعة وقت الصلاة كمحاولة لمنع الطلاب من تأديتها. أضف إلى ذلك أن بعض المباريات لاختيار الموظفين تجري في الغالب أيام الجمع، وكل ذلك وسواء لا تظهر آثاره السيئة إلا بعد حين من الزمن . هذا في بلد عربي عضو في جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي فكيف بدول العالم الأخرى التي لا رباط بينها وبين هذه المنظمات بل هناك روابط أخرى في مفاهيم إيديولوجية تتناقض أساساً مع الإسلام سعى ضمنها للتزويب الوجود الإسلامي وفق مخططات مكشوفة أو مستترة. ففي الهند مثلاً وإن كان تعدد الزوجات لا منع له في نص تشرعي إلا أن من كان له أكثر من زوجة يحرم من الوظيفة الرسمية. وفي البانيا قرار الحزب الاشتراكي - أيام حكمه قبل تخلص البانيا من حكم الشيوعيين - تزويج المسلمين من نصرياني ومنع الحجاب وكذا فعل هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة وجعل زواجهما من وثنى كذلك مشروعًا وواجباً. وكما تحاول الهند فرض تغيير أسماء الأطفال إلى أسماء هندية غير إسلامية كشرط لتسجيلهم في الدوائر الرسمية فإن بلغاريا اتبعت سياسة تغيير الاسم وإعادة توزيع السكان وتهجير المسلمين من مناطقهم ومنع النحر في الأضحى كما فعلت البانيا الشعبية فضلاً عن الذبح الشرعي(١) إن لم نقل الإلزامات الإسلامية في الأمور الاجتماعية، فإن المخطط واضح عند فرض التجنيد الإجباري وبخاصة على الفتيات، ومنهن طبعاً الفتيات المسلمات وضمنهن إلى معسكرات الشباب بغية إيجاد الشروخ الأخلاقية والتحلل الديني، فضلاً عن فرض ثقافة اجتماعية أو ما يسمى بالمفاهيم الوطنية في أجواء عسكرية صارمة لا تقبل الجدل ولا النقاش . وإن سكتت بعض الدول التي فيها أقليات أو أكثريات إسلامية عن زيارات المسلمين على الطريقة

الإسلامية إلا أن التسجيل الرسمي لا يكون وفقاً للإجراءات القانونية حيث يكون العاقد في الغالب غير مسلم! فهذه كلها وكما الزواج الطلاق وسائل القضايا المرتبطة بالعائلة من إرث ووصية ووصاية. تتم وفقاً للنموذج القانوني لا الشرعي . ويمارس القضاة الشرعيون في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقاً القضاء الديني لا القضاء الرسمي فتكون أحكامهم فتاوى غير أن الطلاق وسائل الأمور لا تكون إلا بقرار مدني من السلطة القضائية الرسمية وكذا الأمر في الحالات والأقليات الإسلامية في مختلف دول العالم. حتى الاسم الشخصي للفرد المسلم كان للسلطات الرسمية موقف منه!!! ولم تنتور بلغاريا قبل سقوط الشيوعية فيها مؤخراً، من فرض تغيير أسماء المسلمين إلى أسماء بلغارية إلا بقوة القانون وقوة العسكر والاعتقال بأن واحد ٢٠ - استيعاب الإدارات الدينية والجمعيات : وقد نجد بلاد الأكثريات الإسلامية المضمومة قهراً إلى اتحاد أو البلاد التي فيها أقليات إسلامية، أن حكومات تلك البلاد لا تستطيع إقامة إدارات دينية إسلامية أو مفتين أو شيوخ كبار أو إنشاء جمعيات اجتماعية أو دينية بسبب أن القوانين العامة تجيز إنشاء مثل هذه الجمعيات أو المراكز بشكل عام ، فلا يمكن إجازتها لآخرين وحرمان المسلمين للأقليات منها. أن وجود مثل هذه المراكز والجمعيات أو الإدارات يفيدها، فهو يشكل غطاء لتصرفاتها الأخرى في تذويب الوجود الإسلامي أو تفككه، أو يسمح لها بمراقبة الأنشطة والفاعلين والقيادات مما يجعلهم بشكل أو باخر تحت سلطاتها فضلاً عن أن مثل هذه الأنشطة المعلنة الرسمية قد يحول دون إنشاء خلية سرية. وقد تعمد الحكومات إلى اعتبار هذه الإدارات أو الجمعيات ممثلاً وحيداً للمسلمين بحيث تمنع أية أنشطة أخرى خارج هذه الجمعية أو الإدارية. وقد نعین بعض الحكومات أعضاء هذه الجمعيات أو تتدخل في انتخاب مجالسهم لما يجعل بعض الجمعيات تدور على محور السلطة وتصبح جهازاً للدعابة لصلاحة السلطة مشيدة بالحرية الدينية الممنوعة للمسلمين في بعض الجوانب مما يوحى بالحرية الدينية على عمومها. غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن بعض الجمعيات تتمكن من الإفادة من الحرية الممنوعة لها ضمن القوانين، فتقوم بأعمال جليلة في خدمة المسلمين والحفاظ على وجودهم وتطويره وفي ممارسة الدعوة إلى الله في صفوف الآخرين وتنشئ المعاهد العلمية والشرعية والأدبية بالجهاد المخلص والتضحية الواجبة . ٣- طمس اللغات القومية ومحاربة العربية لغة وحرفاً: ضمن المجموعات السكانية الكبرى التي تؤلف دولة اتحادية واحدة بل على العكس من ذلك تحاول أن تتعزز بالقوميات ولغاتها في الوقت الذي تعمل على تذويب تلك القوميات في مخطط طويل الأمد والنفس عن طريق إضعاف اللغات المحلية القومية بتعليم اللغة التي اختارتتها الدولة المركزية أو التي أرادت فرضها. وكثيراً ما حاولت إلغاء اللغات القومية بحجج تطويرها فتمنع كتابتها بالأحرف العربية مثلاً وتفرض كتابتها بأحرف اللغة المركزية أو الأحرف اللاتينية، وذلك في محاولة أولى منها لقطع حاضر الأقليات بماضيها الثقافي والديني. وهكذا وجدنا الروسيا تمنع مسلمي جمهورية شاشان - أنجوشا المتعددة مع الروسيا (٧٤ بالمئة من الجمهورية مسلمون) من كتابة لغتهم بالأحرف العربية وتفرض الروسية على سائر القوميات(١) كما وجدنا الصين تمنع أبناء القومية الويغور (٨ مليون) من كتابة لغتهم بالأحرف العربية وألزمت المسلمين جميعاً باللغة الصينية. وفي الهند أيضاً يُطلب من المسلمين كتابة اللغة العربية وهي لغة المسلمين الأولى بالأحرف اللاتينية وتمنع تدريسها في معظم المدارس حيث تولي الحكومة المركزية اهتماماً بتدريس الهندية والإنجليزية وتعتبر اللغة الهندوكية لغة الوظيفة الرسمية(٢) وكذلك الأمر في تايلاند حيث أصرت الحكومة على السيطرة على التعليم في فطاني وعلى نشر اللغة السيامية بدلاً من اللغة الماوية لغة أهل فطاني وكانوا يكتبونها بالأحرف العربية - واشترطت الإمام باللغة التايلاندية للحصول على الوظائف الحكومية!. غير أن رفض المسلمين عموماً ترك لغاتهم القومية والإصرار على التمسك بها وتناولها واعتبارها رسمية في مقاطعات الحكم الذاتي ساعد كثيراً على حفظ وجودهم وعدم النزول في المجتمع الأكثري المفروض، مما أربك السلطات المركزية التي لا تزال تصر على الاستيعاب العام ضمن فرض اللغة الواحدة!!! ٤ - التغيير الديمقراطي والتهجير والتقطيع : نعتمد الدول سياسة تعسفية ضد السكان المسلمين سواء شكروا أقليات أو أكثريات في مناطقهم أو في أقاليم تلك الدولة. وذلك بالتغيير السكاني لإقليم أو مجموعة أقاليم ولو أدى هذا إلى ضرب شعب من الشعوب وتشتيته في مختلف أنحاء الدولة. وقد اعتمدت هذه السياسة التعسفية - روسيا فنقلت شعوباً عديدة، وأسكنت بعضهم في سيبيريا ثم اضطرت لنقلهم من جديد إلى مواطنهم. كما نقلت سكان القرم بعد الحرب الثانية إلى مجاهيل سيبيريا وسواها من الجمهوريات السوفياتية، وأسكنت القرم الروس أو سكان بعض الجمهوريات السوفياتية من غير المسلمين. كذلك فعلت الصين وتايلاند وبلغاريا فنقلت مجموعات من سكانها وأسكنتهم في مناطق المسلمين في تلك الدول. وهكذا غدت مجموعات كبيرة روسية متواجدة في الجمهوريات الوسطى وسائل الجمهوريات ذات الحكم الذاتي في الاتحاد السوفيتي وفي الصين وفي تايلاند وفي بلغاريا، حيث لا يزال العمل في السيطرة الديمغرافية جارياً حتى يومنا هذا وبخاصة في بلغاريا وتايلاند وفطاني. فيجري في بلغاريا

نقل الشباب والفتيات وعزلهم عن أسرهم وتوزيعهم على مختلف المقاطعات. وهناك أسر لا تعرف عن مصير أبنائها شيئاً (١) وقد اتبعت الحبشه فس السياسة عندما أرادت أن تقيم حواجز مانعة بين أرتيريا التي تخوض حرباً مستمرة ضد السلطة الأثيوبيه وبين الداخل الأثيوبي فأرادت تغيير ديمغرافية المناطق الإسلامية حول أرتيريا مستفيدة من أجواء المجاعة التي سيطرت هناك مانحة أرض المسلمين إلى مجموعات حبشه نصرانية أو بوذية بينها وزعت المسلمين في مناطق مختلفة!! . وكذا القول بما تفعله إسرائيل من زرع المستوطنات في الضفة والقطاع المحتلين، للمهاجرين الجدد إليها من الاتحاد السوفيتي السابق أو من الحبشه من جميل الملاحظات أن الإسلام انتشر في كثير من أقاليم الدنيا دون فتح عسكري ودون بعثات دعوية وبواسطة أفراد وتجار قلائل. وبينما كانت ديار الإسلام في بلاد الشام ومصر تتعرض لأشد أنواع الهجوم الصليبي فإن الإسلام كان يدق أبواب أقصاصي آسيا وأفريقيا السوداء على سواحلها الشرقية والغربية وأوسطها وجزرها!! ونجد حادثة ملك يوغنده موبتا في أفريقيا جديرة بالتأمل، فقد طلب من الخديوي إسماعيل حاكم مصر (أعوام ١٨٦٥/١٨٨٢) أن يبسط نفوذه على أرضه وأن يبعث بإثنين من العلماء، وقد أرسل الخديوي بعض الدعاة وكان لهم أثر محمود في نشر الإسلام غير أن لعبة الأمم بين فرنسا وإنكلترا جعلت الخديوي يرتكب خطأ كبيراً (فيعد إلى ضابط إنكليزي لتحقيق سياسته في ضم أوغنده ليوازن بالنفوذ الإنكليزي ما للفرنسيين من نفوذ بعد فتح قناة السويس ١٨٧٠) . وبعدها حادثة أخرى في عهد السلطان عبدالحميد (١٩٠٨ - ١٨٧٦) إذ أرسل إليه إمبراطور اليابان يطلب إرسال دعاة مسلمين لإبلاغه (والشعب الياباني دعوة الإسلام فاستدعى السلطان عبدالحميد جمال الدين الأفغاني واستشاره في الأمر فقال جمال الدين: يا حضرة السلطان إنك لو بعثت إليهم علماء من الطراز الموجود في السلطنة حالياً لنفروا اليابانيين من الإسلام والرأي أن تدرب جماعة من العلماء على الدعوه في مثل هذه البلاد ثم تبعث بهم فامتنع السلطان وأرسل بردودي على إمبراطور اليابان مصحوباً بهدية ووعد بتلبية رغبة الإمبراطور (٢) . ولا ريب أن الخديوي والسلطان والأفغاني قد أخطأوا!! وبينما انتشر الإسلام رغم صعوبات أوجدها الإنكليز في أوغندا نظراً لوجود المسلمين ودعاة فلائل بين الأوغنديين، نجد أن اليابان أوصدت أبوابها فيما بعد، الأفغاني ألغتها الأحداث فلم يُصنَّع العلماء على ما يجب. كما أنه من غير المعقول أن لا يكون في السلطنة العثمانية يومئذ من هو أهل للدعوة ويلم بعض اللغات التي يمكن أن يخاطب بها اليابانيين. ومع هذا ففي القرن العشرين دق الإسلام من جديد أبواب اليابان ودخل في دين الله عشرة آلاف ياباني دفعه واحدة فأقاموا مسجداً ومركتزاً إسلامياً وجمعية ولا بد لهذا الدين أن ينتشر هناك!! وفي المقابل نجد في القرن العشرين حادثة أخرى. هي أن ملك الحبشه ليج أياسو (١٩١٢/١٩١٦) أعلن إسلامه وسط الحرب الأولى ١٩١٦ ووضع عبارة لا إله إلا الله على علم بلاده وتزي بالزي الإسلامي وأوقف اضطهاد المسلمين وأعلن أيضاً تبعية بلاده للسلطان العثماني في الشؤون الدينية غير أن (اللعبة الأمميه) عبر دول أوروبا وتحرك الأقباط في مصر والحبشه، خاصة بعد أن وصل عرشها هيلا سيلاسي . أسقطوا تجربة أياسو فاضطهد المسلمين بعده أياًماً أضطهاداً!! وأيضاً وفي عام ١٩٧٣ أسلم ألبرت بونجو رئيس جمهورية الغابون في أفريقيا وتسمى باسم عمر وأسلمت معه أسرته وقبيلته وعدد من المسؤولين. وقبل هذين عيدي أمين في أوغندا فقد أسلم وانتهى بيلاه الوجهة العربية الإسلامية وبخاصة على الصعد العامة وقضية فلسطين إلا أنه أخطأ في تصريف شؤون البلاد، كما أن طغيانه في بعض الأحيان وسذاجته في الفعل وردة الفعل وكثرة المؤامرات الأجنبية من البلدان المجاورة والصهيونية والقوى العالمية كل ذلك عجل في إسقاطه ووضع حد لظهوره وتعاطفه الإسلاميين غير البصيريـن !! وملحوظة أخرى تتوقف عندها إذ أن الأقليات الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم كثيراً ما تتأثر بأحداث العالم الإسلامي وقضاياـه وتترك هذه الأحداث بصماتها على الجاليـات والأقلـيات جـمـاعـاتـ وأـفـارـادـ . وقد تكون الأحداث سلبـةـ عليهم فتضـعـفـ من وجودـهمـ وتسـلـمـهمـ إلىـ مـصـيرـ مجـهـولـ . وقد تكون إيجـابـيةـ فـتـدـعـهـمـ خطـواتـ إلىـ الأـمـامـ . وـسـطـهـمـ خـلـافـاتـ دـوـلـ الـعـالـمـ إـسـلـامـيـ وـوـجـهـاتـ نـظـرـهـاـ السـيـاسـيـةـ المـتـعـاـكـسـةـ . فـيـتـعـاـكـسـ أـبـنـاءـ الـجـالـيـاتـ وـيـخـالـفـونـ . نـعـدـمـاـ وـهـنـتـ الأـمـبـاطـورـيـةـ الـعـثـمـانـيـةـ اـضـطـرـتـ أـنـ تـسـلـمـ لـلـرـوـسـ مـنـاطـقـ إـسـلـامـيـةـ فـضـلـتـ إـلـىـ الـأـمـبـاطـورـيـةـ الـرـوـسـيـةـ خـاصـةـ فـيـ مـؤـتـمـرـ برـلـينـ ١٨٧٨ـ معـ أـنـ الـمـسـلـمـينـ هـنـاكـ كـانـواـ يـرـفـضـونـ اـسـتـقـالـلـهـمـ عـنـ السـلـطـةـ . ثـمـ عـلـىـ الزـمـنـ أـخـضـعـهـمـ الـرـوـسـ وـهـجـرـوـاـ أـبـنـاءـهـمـ وـحـمـلـوـهـمـ إـلـىـ سـيـبـيرـيـاـ وـسـوـاهـاـ مـنـ الـأـفـالـيمـ الـبـعـيـدةـ . وـأـحـدـاثـ لـبـانـ الـيـوـمـ بـحـرـيـهـ الـمـسـتـمـرـةـ مـنـذـ عـامـ ١٩٧٥ـ ،ـ وـالـتـيـ اـقـتـصـرـ فـسـيرـهـ فـيـ الـخـارـجـ عـلـىـ أـنـهـ اـقـتـالـ مـسـتـمـرـ وـدـائـمـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـالـنـصـارـيـ،ـ تـرـكـتـ بـصـماتـهـ عـلـىـ حـكـومـاتـ بـعـضـ الدـوـلـ الـتـيـ فـيـهـ أـقـلـيـةـ إـسـلـامـيـةـ وـرـاحـتـ تـرـاقـبـ تـحـركـ هـذـهـ أـقـلـيـاتـ وـأـيـ دـعـمـ قـدـ يـتـلـقـونـ مـنـ الـمـنـظـمـاتـ إـسـلـامـيـةـ الـعـالـمـيـةـ حـجـةـ أـنـ هـذـاـ دـعـمـ قـدـ يـكـونـ لـهـ خـلـفـيـاتـ سـيـاسـيـةـ بـتـحـريكـ الـمـسـلـمـيـنـ ضـدـ حـكـومـاتـهـمـ وـهـذـاـ مـاـ أـفـضـىـ بـهـ إـلـيـ مـدـيرـ الشـؤـونـ الـفـارـقـيـةـ فـيـ رـابـطـةـ الـعـالـمـ إـسـلـامـيـ بـمـكـةـ الـمـكـرـمـةـ الـأـسـتـاذـ مـحـمـودـ الـحـافـظـ . وـصـرـاعـ أـنـظـمـةـ الـحـكـمـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ اـنـتـقـلـتـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ سـلـيـاتـهـاـ إـلـىـ الـجـالـيـاتـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـمـغـرـبـاتـ ،ـ

وأنذر على سبيل المثال أستراليا حيث يجري الصراع مكتشوفاً بين أبناء الجالية الواحدة. فهذه الجمعية تدعمها جهة عربية وتلك تدعمها دولة أخرى مضادة وهذه تشتري مركزاً ثقافياً لجمعية فترد عليها الأخرى بمحاولة بناء مركز ثان وهكذا . وفي المقابل فإن تقارب العالم العربي من السوفياتي، ودعم الإتحاد السوفياتي لقضايا العرب، وعلى الأخص المسألة الفلسطينية - بقطع النظر عن مدى صدق هذا الدعم وتدخله في لعبة الأمم - فإن هذا الأمر جعل السوفياتي مضطربين لتخفيض الوطأة الضطهادية ضد مسلمي السوفياتي وحملهم أيضاً على إقامة مؤتمرات في الجمهوريات الإسلامية لدعم القضايا العربية. إذ أقام مكتب العلاقات الخارجية للمنظمات الإسلامية بالإتحاد السوفياتي، كما يقول عبدالله وهابوف أحد أبرز موظفي هذا مؤتمر طشقند تحت شعار (في سبيل وحدة المسلمين في النضال من أجل السلام ضد العدوان الأميركي) الذي جرى عام ١٩٧٠ كما ساهم مساهمة فعالة في التحضير لمؤتمر إسلامي آخر في طشقند عام ١٩٧٣ تحت شعار (تأييد نضال الشعوب العربية العادل)(١) . إن التطورات المختلفة في العالم ألزم الصين على توفير قدر من الحرية الدينية والاجتماعية والثقافية لمسلمي تركستان الشرقية بهدف صرف انتباه المسلمين إلى ممارسة نشاطاتهم التي منعت عنهم خلال العنف الشيعي، كما حرصت الصين على تحسين العلاقات الدولية والاتصالات الرسمية في دول العالم وبالأخص الإسلامية، وتشجيع الصلات الرسمية مع الهيئات الإسلامية المحلية تحت مراقبة الدولة والحزب لإيهام الرأي العام العالمي والإسلامي بتوفير الحريات والحقوق للأفراد المسلمين وقوميات وطوائف(٢) إن استقراء واقع الأقليات والجاليات الذين يتجاوزن الثلاثمائة مليون سلم يشعر بمدى المسؤولية الشرعية والتاريخية إزاء هؤلاء الذين يعانون الصعوبات أقلها التضييق والتذويب وأآخرها القتل والتدمر. ولنا أن نتصور إيمان هؤلاء وهم يتسبّبون بالإسلام وغالبيتهم لا عرّفون العربية ولا يمكنون من فهم القرآن ولا قراءة كتب الفقه إلا ما ترجم إلى لغاتهم حيث يعانون من جديد من محاولات قطعهم عن لغاتهم كطريق وحيد لقطعهم عن تراثهم وثقافتهم . إن حالة الجهل بالإسلام سيطر على معظم المسلمين وبخاصة في عالم المغتربات أو في عالم الأقليات. ومن المفارقات أن هذا الجهل لم يقطع هؤلاء عن أمر توارثه وهو أنهم مسلمون وكفى. فلو أنهم اختتنوا بذلك شعار الإسلام أو امتنعوا عن أكل الخنزير فهم إذن مسلمون، ولو كانوا - في واقعهم - يمارسون الإلحاد على مستوى الحزب الشيعي؟ ثم أليسوا يدفنون في مقابر المسلمين إن كانت لهم مقابر في تلك الأمصار؟! أليسوا إذن مسلمين؟! وهذه الحال تتفاوت من قطر إلى سر ومن دولة إلى أخرى حسب طبيعة النظام وإغراءات السلطة في استيعاب المسلمين أو ابقارهم عنصراً من عناصر الوطن . ولكن ماذا عن العالم الإسلامي وواجباته إزاء هؤلاء؟ لا ريب أن العالم الإسلامي الذي بدأ ينهض من الكبوة الكبرى التي أصابته بإلغاء الخلافة في استنبول واحتلال أجزاء كثيرة من بلاده ثم احتلال فلسطين وأخيراً احتلال أفغانستان وما بين ذلك من حرب لبيان المستمرة وال الحرب الإيرانية العراقية(١) والأحداث الكبيرة التي تقع هنا وهناك فضلاً عن مخططات البعثات التبشيرية ومحاولات الدول الكبرى في فرض نفوذ أو استيعاب سياسات دول العالم الإسلامي، كل ذلك يؤثر سلباً على جهود هذا العالم في الاضطلاع بمسؤولياته الضخمة إزاء العالم الغربي أو عالم الأقليات. غير أن هذا الوضع الشاذ والخطير لا يرفع الملام عن المسلمين في العالم الإسلامي، خاصة وأن الصحوة الإسلامية تشق طريقها وسط جميع الصعوبات، سواء في هذا العالم أو بين الأقليات وحتى بين عالم غير المسلمين. إذ أن أفلاس الفلسفات القديمة والمعاصرة وعجزها عن حل مشكلة الإنسان تدفع هذا الإنسان الحائر المعدّ إلى عقيدة تجمع بين الأمان والاطمئنان والتعامل النفسي والبشري والتطلع نحو مستقبل راشد للإنسانية. فيجد هؤلاء ضالتهم في الإسلام الذي لم يتوقف انتشاره طيلة القرون الخمسة عشر حتى هذا القرن . أليس من الجميل أن يسلم الفيلسوف الماركسي الفرنسي بيار جارودي منذ أعواوم؟ وينقلب إلى مدافع عن الإسلام ومبشر له، وأن يسلم المغني البريطاني كات ستيفنز والذي تسمى باسم يوسف إسلام مطالباً بحقوق المسلمين بإإنكلترا، ويسلم رئيس جمهورية الغابون) ويسلم عشرة آلاف ياباني دفعة واحدة، ويسلم مؤخراً وفي صيف ١٩٨٥ سكان قرية هندية بكاملها وتعديادها ٢٢ ألف مسلم جديد (١) . فضلاً عن ألف تسلّم هنا وهناك في كل قارة وفي كل دولة وإنقليم . إن ترشيد هذه الصحوة والاهتمام بأمر المسلمين في قارات الدنيا واجب إسلامي كبير وقضية إسلامية رفيعة المستوى ومهما تكون الأمور والصعوبات فلا بد من وضع خطط وبذل جهود لتأمين الحدود الدنيا للقيام بالواجب المفروض. إن نظرة متخصصة لخريطة انتشار الإسلام في العالم ترينا ما يملك العالم الإسلامي من شبكة كبيرة من المسلمين. ونتساءل لو أحسن ترشيد هؤلاء وتوعيتهم وتوجيههم لا يكونون السنة قوية وقوية مدافعة عن حقوق العالم الإسلامي نفسه وعن قضاياه؟! . ثم أليست الدول اليوم تعامل وفق مصالحها وتهتم بأمورها واقتصادها ليس بالإمكان توظيف سياسة الترهيب والترغيب الاقتصادية لدعم أقلية أو حمايتها؟! ثم أليست لدينا وسائل كثيرة في ابتعاث البعثات، وفي استخدام الإعلام وفي استقبال أبناء الأقليات وفي تنظيم دور العلم ووضع المناهج والبرامج لهم ولنا بحيث

ندرك أن هذه الخطط، سوف تحدث تغييرًا ملحوظاً في قدرة الأقليات الإسلامية وحمايتها؟ وإن كان يصعب ذلك على الدول الإسلامية أو على بعضها أن تأخذ المبادرة، أفالا يمكن أن يكون موضوع الأقليات الإسلامية على جدول أعمال مؤتمرات القمة الإسلامية فتصدر بياناً أو تأخذ موقفاً قد يكون من شأنه تطوير الأمور على صعيد الأقليات فتقلع بعض الدول عن ممارسة العنف أو تحاول تحسين الصورة . صحيح أن مؤتمرات القمة ليس لها سلطان تنفيذي إزاء الدول الأخرى، إلا أن معالجة الأمر من قبلها، يوفر ثقلاً معنوياً خاصة في عالم سيطرت عليه أجهزة الإعلام، مما يساعد على طرح مشاكل بعض الأقليات بصوت عال ومسموع(١) . فلا يعقل أن يقف مسلمو العالم الإسلامي مكتوفي الأيدي أمام مشاهد تمزيق المسلمين في سيريلانكا أو قتل مئات المسلمين في الهند من أجل بقرة، أو الالتفاف على ثورة المورو في الجنوب، أو القضاء على ثوري فطامي وأرتيريا . ولا ينكرون المنكر ولو باللسان والكلام وذلك أضعف الإيمان ولا يمكن أن يرد على ذلك بأن مثل هذا الأمر قد يعد تدخلاً في الشؤون الداخلية للدول المستقلة، مما قد يتثير أزمات دبلوماسية واحتجاجات . لا ريب أن مثل هذا الأمر قد يحصل وقد تحاول تلك الدول أن تتستر وهي التي تظلم رعاياها المسلمين بمثل هذه الحجج وهي إحدى الزرائع الهامة التي يتمسك بها من يريد أن يخفي جريمته، أن نثير العواطف على خطط حماية الأقليات المسلمة وتطويرها، ولا نريد أن نورط دولنا في العالم الإسلامي بمشكلات قد تشعر أنها في غنى عنها . ولكن الذي نريده في المراحل الأولى على الأقل فتح الجسور بين عالمنا ودولنا من جهة وبين المسلمين، رعايا الدول ذات الأكثريات غير الإسلامية، والافتتاح ما أمكن ذلك بين دولنا في العالم وبين دول تلك الأكثريات، افتتاح تعاون وصداقة ضمن حقوق الدول وسيادتها وضمن شرائع حقوق الإنسان، وبمنطق مصالح الدول المختلفة . فنحن لا نريد أن نثير في الدول اضطرابات، إنما نريد أن نحفظ على الأقليات دينها ومعتقداتها الإسلامي، وأن يسمح لها بالحج وتأدبة المناس克 والحد الأعلى من الأحوال الشخصية الذاتية، وأن يسمح لها بتعلم الإسلام كما أنزله الله . كل ذلك خطوات على الطريق الطويل . ولا ريب أن اهتمام المنظمات الإسلامية العالمية بإخوانهم الأقليات أمر مهم لافت للنظر، ومؤتمر الأقليات في الندوة العالمية للشباب الإسلامي صورة من هذه الصور. كما أن اهتمام رابطة العالم الإسلامي لا ينافي في إنسان، حسبها أنها أنشأت دوائر للاهتمام بهم ومد جمعياتهم بالخير والمال والبعثات، توازيها في الطرف الآخر الهيئة الخيرية العالمية والجمعيات الإسلامية في الكويت . ومن أجل هذا دعوتنا إلى إنشاء مجلس عالمي للجاليات والأقليات الإسلامية في العالم يوم أن كنت في زيارة galaية الإسلامية في سدني بأستراليا(١) وقد كتبت - يومها - بعض. الحيثيات والمبررات لكن ما أثبتته من صفحات في هذا الكتاب يشكل بلا ريب أحد أبرز الخلفيات في وجوب إنشاء هذا المجلس العتيد. ولا يهمني كيف يأتي هذا المجلس العالمي بالشكل البسيط الذي اقترحته أو بشكل أكثر شمولاً وإيجابية فالهم أن ينشأ وأن تُعطى له قدرات الدرس والتقرير والمساعدة والحركة الدائمة الدائمة وأن تكون له قيادة أمينة ومخلصة فذاك طريق النجاح وشرفه . الأقليات في عالم الأكثريات غير المسلمة، صمدوا ضد كل محاولات التذويب والتنصير والتهويد والترويس والتبصين والفلبنة والتحبيش والهندكة والتبيذ وسوى ذلك من محاولات الشيطنة في عالم الإنس وعلى امتداد دهور وقرون كما أن المجاليات الجديدة التي تنشأ هنا وهناك في العالم تحمل مشاكلها وهمومها وتلقي بها في أرجاء العالم الإسلامي، طالبة العون لتصمد أجيالهم الصاعدة ويسلموا من مخاطر المجتمعات الجديدة . ومن أكبر التحديات التي قُدِّفت في وجه العالم الإسلامي، حكومات ومؤسسات ونظم وجمعيات، انهيار الشيوعية وزوال الاتحاد السوفيتي واستقلال دول إسلامية في آسيا الوسطى حيث كانت تشكل أكثريات - أقليات - في الاتحاد السوفيتي السابق، الذين عاشوا سبعين سنة أو أكثر تحت الاحتلال. السوفيياتي وصمدوا في وجه أخطر عملية تذويب وغسل للأدمغة، تراهماليوم حاجة ماسة إلى الدعوة الصادقة إلى الله وإلى المساعدة على كل صعيد. كما أن أقليات مسلمة لا تزال تعيش في وسط غير إسلامي في جمهوريات أخرى في الاتحاد السوفيياتي السابق، من تحرك الحركات المشبوهة كالقابيانية والبهائية وسواءهما لنشر الدعاة في الوسط المسلم بهدف تحريف المسلمين عن الفهم السليم له(١) أو قيام مجموعات قومية تطبق الإلحاد تحول دون تفتح الشعوب على الإسلام الصحيح . كما يخشى من قيام محاولات مشبوهة من قوى الغرب ومنه أمريكا، لإطلاق مفاهيم ممسوحة ومشوهة عن الإسلام لإغراق شعوب تلك الدول والأقليات بشبهات وارتجاج . وكل ذلك وسواء يستدعي إعلان حالة من الطواريء في صفوف المنظمات الإسلامية العالمية والدول الإسلامية الغنية بذلك كل شيء من أجل إنقاذ هؤلاء المسلمين، الذين تحولوا إلى دول مستقلة، أو لا يزالون أقليات في دول تدعى أنها تحترم الأديان وحريات الاعتقاد . يمكن أن تشكل تثقيفاً إسلامياً طيباً وتحوياً في مسار حياتهم كما تشكل دعوة لغير المسلمين إلى الإسلام . وثقافية وفكرية وتاريخية وعلمية. حن في بلادنا العربية توجه إلينا إذاعات بالعربية من واشنطن ولندن وباريس وموسكو وتل أبيب، ولا يشكل ذلك إحراجاً ولا إشكالاً. حتى أن إرساليات تبشيرية تمتلك إذاعات توجهها إلى أفريقيا وإلى لبنان والعرب كما

هو شأن إذاعة صوت الأمل التي تملكها إرسالية إنجليلية أميركية وتبث عليها عصابات لبنانية مسيحية متعاملة مع إسرائيل. فضلا عن إذاعة مسيحية تبث من السودان. لقد كان لبعض الإذاعات العربية والإسلامية تأثير طيب في نفس مسلمي أواسط آسيا وفي الإتحاد السوفياتي الذين قد يتمكنون من التقاطها. لكن هذه الإذاعات لا يسمعها إلا من فهم العربية، مع أن القرآن يسمعه المسلم، فيفهمه قلبه لا بلسانه فكيف لو وجهت إذاعة بلغاتهم ترجم معاني القرآن وتسمعهم صوت الحق وتاريخ الإسلام